ثالثا: مناهج البحث في اللغة

تقاس أهمية العلوم الجادة بمدى انتقال فرضياتها، ونظرياتها من الوجهة النظرية التجريدية إل التطبيق، والتصديق في الميدان، والممارسات العملية، ومن أبرز المناهج التي تولدت من المعرفة اللسانية، وتحولت إلى إجراءات، وأدوات في دراسة الظاهرة اللغوية: المعياري، المقارن، التاريخي(الزماني)، الوصفي (الآني)، التقابلي والوظيفي...الخ. لكن يمكننا إضافة مجموعة من المقاربات المستمدة من علوم لغوية حديثة كـ: الأسلوبية، البلاغية، السيميائية، التداولية، السوسيولسانية والبسيكولسانية...الخ.

3-1- المنهج المعياري التقليدي

لقد حاول علماء الأمم القديمة عامة والنحاة العرب- خاصة- أن ينشؤا منهجا وصفيا لدراسة اللغة، يقوم على جمعها واستقرائها، للخروج بنتائج تمكنهم من وضع قواعد لغوية تستند على ذلك الجمع والوصف والاستقراء، لكنهم سرعان ما تحولوا من منهجهم هذا إلى منهج معياري، يحمل المواصفات التالية(الهواري، 2009، ص157):

- إخضاع اللغة لمجموعة من القواعد الناتجة عن استقراء ناقص، بدل أن تخضع تلك القواعد للغة، ممّا أوقع النحويين في فخ التأويل والتحمل، والحكم على كل ما يعارض قواعدهم بالقلة أو الشذوذ أو الخطأ.
- الخلط الشديد بين مستويات اللغة(الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية)، كما يتجلى في المؤلفات النحوية على امتداد العصور، ممّا أحدث في الدراسة النحوية حالة من الإرباك والاضطراب والفوضى.
- الخلط بين لهجات العرب في محاولة لوضع قواعد نحوية تنتظمها جميعا، وكان من الأفضل أن تُدْرس كل لهجة على حدى، لِيُسَنَّ لها ما يناسبها من القواعد.
- الافتتان بالمنطق الأرسطي، وتطبيقه على علم النحو، حتى أصبح كلامهم في هذا العلم أقرب إلى الفلسفة منه إلى النحو نفسه.

3-2- المنهج الوصفي(الآني)

لئن كان القرن التاسع عشر قد هيمنت عليه اللسانيات التاريخية والمقارنة، فإن القرن العشرين قد سيطرت عليه اللسانيات الوصفية، وقد تطور هذا النمط من اللسانيات الآنية بطريقة مستقلة في جهتين مختلفتين من العالم: أوربا وأمريكا... فإن اللسانيات الأمريكية اختلفت عن اللسانيات الأوربية من حيث المنهج المتبع والمادة المدروسة، وذلك لأن المدارس الأوربية لم تبدأ من الدرجة الصفر، وإنما من الفكر اللغوي العريق الذي ظهر بظهور اللسانيات الإغريقية، واستمر إلى القرن التاسع عشر، حيث ظهرت اللسانيات التاريخية والمقارنة التي اعتنت بدورها باللغات الكلاسيكية قبل اللغات الأوربية الناشئة.

يعتمد هذا المنهج المسح أو الوصف كطريقة للتجريب على الأسلوب العلمي، حيث يدرس الوصف المتغيرات في وضعها الطبيعي دون أي تدخل من قبل الباحث، و بذلك تكون دراسة الظاهرة تحت ظروف طبيعية وليست ظروف صناعية كما هو في المنهج التجريبي.

***أغراضه**

يلجا الباحث الى اعتماد المنهج الوصفي في دراسة مشكلة موضوع البحث للأغراض التالية:

- لجمع المعلومات الحقيقية والمفصلة عن ظاهرة ما موجودة فعلا،
- لتحديد المشاكل الموجودة او لتوضيح بعض الظواهر،
- لإجراء مقارنة وتقييم لبعض الظواهر،
- لتحديد ما يفعله الأفراد في مشكلة معينة والاستفادة من آرائهم وخبراتهم في وضع تصور وخطط مستقبلية واتخاذ القرارات المناسبة في المشاكل ذات الطبيعة المتشابهة،
- لإيجاد العلاقة بين الظواهر المختلفة،
- إن هدف تنظيم المعلومات وتصنيفها هو مساعدة الباحث على الوصول إلى استنتاجات وتصميمات على تطوير الواقع المراد دراسته، فالأسلوب الوصفي أو المسح، لا يهدف إلى وصف الظواهر أو وصف الواقع كما هو، بل إلى الوصول إلى استنتاجات تساهم في فهم هذا الواقع وتطويره.

***أنواع الوصف(المسح)**

والمسح أنواع، فهناك المسح العام كما يحدث في التعداد او الإحصاء السكاني، وهناك الدراسات الوصفية وهي في بعض الأحيان تكون كالمسح العام، وكذلك الدراسات الكشفية والدراسات التحليلية، كما يتضمن هذا النوع من الدراسات الطولية والدراسات العرضية

*** مبادئ المنهج الوصفي**

- الاستعانة بمختلف الأدوات المستخدمة للحصول على البيانات مثل المقابلة الشخصية والاستفتاء، والملاحظة، وتحليل الوثائق والسجلات سواء بصورة منفردة باستخدام كل أداة على حدة، أو بصورة مجمعة يمكن من خلالها الجمع بين استخدام أكثر من أداة.
- وجود اختلاف في مستوى عمق الدراسات الوصفية، بمعنى أن يكتفي بعضها بمجرد وصف الظاهرة المراد بحثها كميا او كيفيا بدون دراسة الأسباب التي أدت الى الظاهرة فعلا، بينما يسعى البعض الآخر الى التعرف على الأسباب المؤدية للظاهرة، هذا علاوة على ما يمكن عمله او تغييره حتى يؤدي الى إجراء تعديل في الموقف المبحوث.
- اعتماد الدراسات الوصفية عادة على اختيار عينات مماثلة للمجتمع الذي تؤخذ منه، وذلك توفيرا للجهد والوقت وتكاليف البحث.

- ضرورة اصطناع التجريد في البحوث الوضعية، للتمكن من تمييز خصائص الظاهرة المدروسة وخاصة أن الظواهر في ميدان البحوث الاجتماعية تتسم بالتداخل والتعقيد، مما لا

يمكن الباحثين من مشاهدة كل هذه الظواهر في مختلف حالاتها على الطبيعة.
ـ ضرورة تصنيف الأشياء والوقائع أو الكائنات أو الظواهر موضوع الدراسة على أساس معيار مميز، لأن ذلك هو الأسلوب الوحيد إلى استخلاص الأسبق ومن ثم التعميم باعتبار ان التعميم هو مطلب أساسي في الدراسات الوصفية للتمكن من استخلاص أحكام تصدق على مختلف الفئات المكونة للظاهرة المراد دراستها.

*** خطوات البحث في المنهج الوصفي**

يختلف سير البحث في البحوث الوضعية وفي تصميمها عنه في بحوث التجريب من حيث نوع الإمكانيات سواء البشرية والمادية المطلوبة لإجرائه او من حيث وسائل جمع البيانات، ويمكن تلخيص خطوات البحث الوصفي في النقاط التالية:

- يبدأ الباحث بتحديد الغرض من المسح ويتضمن ذلك تحديد مشكلة الدراسة والاعتبارات العلمية التي يبني عليها هدفه.
- يضع الباحث خطة لسير البحث، وتشمل تحديد مجال البحث من حيث العينة والمكان والزمان اللازم لتنفيذه.
- اختيار الباحث أدوات البحث التي سيستخدمها في الحصول على المعلومات كالاستفتاء او المقابلة الشخصية أو الاختيار، أو الملاحظة، وذلك وفقا لطبيعة مشكلة البحث وفروضه ثم يقوم(الباحث) بتقنين هذه الأدوات وتقدير مدى صدقها وتباينها.
- يقوم الباحث بجمع المعلومات المطلوبة بطريقة دقيقة ومنظمة.
- تحليل البيانات تحليلا إحصائيا وتفسيرها عن طريق القياس المنطقي.
- استخلاص النتائج وتحليلها وتفسيرها مع تقدير مدى الثقة في النتائج الإحصائية عند تطبيقها على المجموع الذي أخذت منه العينة.

*** سلبيات البحث في المنهج الوصفي**

وفي المقابل يوجه الى البحث الوصفي الكثير من الانتقادات والتي منها:

- قد يعتمد الباحث في هذا النوع من البحوث على معلومات مغلوطة من مصادر خاطئة.
- يمكن أن يؤدي الى تحيز الباحث في عملية جمع المعلومات الى مصادر معينة تزوده بما يحتاجه من معلومات.
- معظم المعلومات التي تجمع في الدراسات الوصفية تأتي عن طريق الأفراد، لهذا فان عملية جمع المعلومات تتأثر بتعدد الأشخاص الذين يتولون مهمة جمعها بأساليبهم الخاصة.
- نظرا لأن إثبات الفروض في البحوث الوصفية يتم عن طريق الملاحظة المجردة فان ذلك يقلل من قدرة الباحث على اتخاذ القرار.
- أن قدرة الدراسات الوصفية على التنبؤ تظل محدودة للغاية وذلك لصعوبة الظاهرة أيا كانت وعدم ثباتها.

وبالرغم من هذه الانتقادات- المشار إليها آنفا- فإن ذلك لا يقلل بأي حال من الأحوال من أهمية استخدام المنهج الوصفي في مختلف المجالات والظواهر، إذ إن عملية الوصف هي الخطوة الأولى على طريق العلم.

3-3- المنهج التاريخي(الزماني)

هو عبارة عن إعادة للماضي بواسطة جمع الأدلة وتقويمها، ومن ثم تمحيصها وأخيراً تأليفها؛ ليتم عرض الحقائق أولاً عرضاً صحيحاً في مدلولاتها وفي تأليفها، وحتى يتم التوصل حينئذ إلى استنتاج مجموعة من النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة. وهو أيضاً ذلك البحث الذي يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي ويدرسها ويفسرها ويحللها على أسس علمية منهجية ودقيقة؛ بقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات تساعدنا في فهم الحاضر على ضوء الماضي والتنبؤ بالمستقبل. كما يعرف، بأنه ذلك المنهج المعني بوصف الأحداث التي وقعت في الماضي وصفاً كيفياً، يتناول رصد عناصرها وتحليلها ومناقشتها وتفسيرها، والاستناد على ذلك الوصف في استيعاب الواقع الحالي، وتوقع اتجاهاتها المستقبلية القريبة والبعيدة.

***أهميته**

أ ـ يمكّن استخدام المنهج التاريخي في حل مشكلات معاصرة على ضوء خبرات الماضي.

ب ـ يساعد على إلقاء الضوء على اتجاهات حاضرة ومستقبلية.

جـ ـ يؤكد الأهمية النسبية للتفاعلات المختلفة التي توجد في الأزمنة الماضية وتأثيرها.

دـ يتيح الفرصة لإعادة تقييم البيانات بالنسبة لفروض معينة أو نظريات أو تعميمات ظهرت في الزمن الحاضر دون الماضي

*** أسس المنهج التاريخي**

- **توضيح ماهية مشكلة البحث: أي** تحديد مشكلة البحث التاريخية؛ يتطلب توضيح ماهية مشكلة البحث تناول خطوات الأسلوب العلمي في البحث،
- **جمع البيانات اللازمة :** أي جمع المادة التاريخية،
- **نقد مصادر البيانات:** وتتطلب هذه الخطوة فحص الباحث للبيانات التي جمعها بواسطة نقدها، والتأكد من مدى فائدتها لبحثه. ويوجد نوعان للنقد، الأول، و**يسمى بالنقد الخارجي**، والثاني، و**يسمى بالنقد الداخلي**(نقد الوثيقة ذاتها، وما يتعلق بصاحبها).
- **تسجيل نتائج البحث وتفسيره.**

***اعتبارات أساسية في كتابة البحث التاريخي ومنها:**

1-كتابة الحقائق التاريخية على بطاقات أو مذكرات خاصة بشكل حقائق مرتبة على أساس تسلسلي زمني من الماضي إلى الحاضر.

2 - دراسة البيانات التاريخية وتحليلها مع التركيز على إظهار علاقات ..... والنتيجة للحوادث والعوامل المدروسة.

3- كتابة تقرير البحث يكون على أساس العناصر التالية:

أ- المقدمة التمهيدية بما فيها من فرضيات و الاشكال المطروح

ب-الدراسات السابقة للبحث.

ت-أهداف وأسئلة فرضيات البحث.

ث-منهجية البحث للإجابة عن الاسئلة واختيار الفرضيات بواسطة المنطق أو بالأدوات والوسائل النقدية المناسبة.

ج-عرض الحقائق والبراهين والدلائل التاريخية للتحليل والتقدير وإخراج النتائج والتوصيات للمستقبل.

*** عيوب المنهج التاريخي**

-أن المعرفة التاريخية ليست كاملة، بل تقدم صورة جزئية للماضي؛ نظراً لطبيعة هذه المعرفة المتعلقة بالماضي، ولطبيعة المصادر التاريخية وتعرضها للعوامل التي تقلل من درجة الثقة بها، من مثل: التلف والتزوير والتحيز .

– صعوبة تطبيق الأسلوب العلمي في البحث في الظاهرة التاريخية محل الدراسة؛ نظراً لأن دراستها بواسطة المنهج التاريخي يتطلب أسلوباً مختلفاً وتفسيراً مختلفاً.

– صعوبة تكوين الفروض والتحقق من صحتها؛ وذلك لأن البيانات التاريخية معقدة، إذ يصعب تحديد علاقة السبب بالنتيجة على غرار ما يحدث في العلوم الطبيعية.

– صعوبة إخضاع البيانات التاريخية للتجريب، الأمر الذي يجعل الباحث يكتفي بإجراء النقد بنوعية الداخلي والخارجي.

– صعوبة التعميم والتنبؤ؛ وذلك لارتباط الظواهر التاريخية بظروف زمنية ومكانية محددة يصعب تكرارها مرة أخرى من جهة، كما يصعب على المؤرخين توقع المستقبل.